

أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الامل

كما فرهم ومؤمنهم وأهل الأقطار قاطبة يمدحون المحسن ويذمون المسيء بعقولهم من دون معرفة الشائع بل من ميز من الصبيان مدح من أحسن وذم من أساء وهل مدح أهل الجاهلية لحاتم إلا لإحسانه وكرمه الذي أدرك عقولهم حسنها وهل ذموا مادرا في جاهليتهم إلا لبخله الذي أدرك عقولهم قبحه وهل مدحوا محمدا في جاهليتهم قبل بعثته وسموه الصادق الأمين إلا لأنها أدركت عقولهم حسن المصدق وأنه يمدح من اتصف به وهل ذموا عرقوبا إلا لكذبه وخلف مواعيده التي أدركوا بعقولهم قبحه ثم جاء الإسلام مقررا لهذه الفطرة السليمة لا ينزع فيها أحد حتى تفرق أهل الإسلام شيئا كما تفرقت الأمم ونشأت العادات وشب التتعصب وشاخ الإنفاق بل مات فقال فرقة من الأشعرية نحن نسلم أن العقل يدرك الحسن وهو صفة كمال ويدرك القبيح وهو صفة نقص فحاتم متصرف بصفة كمال عقاً وما در متصرف بصفة نقص عقال وقد اعترف محققوهم بأن صفة النقص هي القبح العقلي لما أورد عليهم مخالفتهم أنه حيث لا يدرك العقل حسنا ولا قبحا فيجوز أن يبعث الله رسلا كذا بين فقالوا هذه صفة نقص لا تجوز على الله قلنا وافقتم من خالفتكم في إثبات القبح العقلي فلم يجدوا جوابا لكنهم قالوا .

إنكم أيها الطوائف الذين أبيتم الحسن والقبح عقاً قلتم إن العقل يدرك حكم من اتصف بالحسن وأنه يستحق المدح عاجلا والإثابة آجلا ويدرك أن من اتصف بالقبح يستحق الذم عاجلا والعذاب آجلا ونسبتم إلى العقل إدراكه لهذين الأمرين ونحن نخالفكم ونقول لا يعرف العقل إلا أن المحسن اتصف بصفة كمال والمسيء اتصف بصفة نقص فلما خلطوا في محل النزاع زيادة المدح عاجلا والإثابة آجلا انفتح باب الجدال وجاءت جيوش كل قبيلة وقال وشت الأشعرية على المعتزلة الغارات وأتوا بدقائق العبارات وقبائح الإلزامات فشرم المعتزلة ومن إليهم الساق ونشروا ألوية الحرب والشقاق وجاء المتأخرون من المثبتين فقلدوا في تحرير محل النزاع النافدين وذلك كمؤلف شرح غاية السؤال ومن قبله مؤلف الفصول وغيرهم